

خطبة الجمعة - الخطبة ٣٥٧ : خ ١ - القلب ( قلب النفس ) ، خ ٢ - خلق الإنسان.  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩١-٠٨-٩

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتني لو لا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلني إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً لربوبيته ، وإرغاماً لمن جد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلي الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر . اللهم صل وسلّم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ومن والاه ، ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، واللطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كل شيء قادر ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأندخنا برحمتك في عبادك الصالحين .

### قلب النفس :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ في القرآن الكريم آيات كثيرة جداً تتحدث عن قلب الإنسان، ولا يذهبن بكم الظن أن هذه الآيات تتحدث عن قلب الجسم ، عن ذلك العضو الصنوبري الذي يضخ الدم إلى جميع أنحاء الجسم ، والذي تتوقف على نبضاته الحياة ، الحديث عن قلب النفس ، لأن النفس هي ذات الإنسان ، وهي المعنية ، وهي المعاشرة ، وهي المحاسبة ، هي التي تسمى ، وهي التي تستغل ، هي التي تؤمن ، هي التي تكفر ، هي التي تحب ، هي التي تخوض ، هي التي تخلد في جنة يدوم نعيمها ، أو في نار لا ينفذ عذابها ، لهذه النفس قلبٌ سميته تجاوزاً قلب النفس ، فأكثر من مئة آية أو مئتين تتحدث عن قلب النفس ، لكن أهم هذه الآيات هي قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنٌ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[سورة الشعراء: ٨٨-٨٩]

كل ما في الدنيا لا ينفع الإنسان يوم القيمة إلا إذا جاء ربُّ بقلبٍ سليم ، ألا ينبغي للإنسان أن يتعاهد قلبه وهو في الدنيا ، حتى إذا جاءته المنيّة كان قلبه سليماً مقولاً عند الله عز وجل .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ راقب نفسك أيها الأخ الكريم ، إذا أزمعت السفر إلى بلد ، أول شيء تبحث عنه النقد المتداول في ذلك البلد ، فإذا غادر الإنسان الدنيا ، واتجه نحو الآخرة لا ينبغي أن يعلم أن أي شيء في الدنيا لا ينفعه ، أن أي شيء من مكتسباته الدنيوية لا يجدي نفعا ، قال تعالى :

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنَ \* إِنَّا مِنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

[سورة الشعراء: ٨٨-٨٩]

ما هو القلب السليم ؟ وكيف يكون سليما ؟ وما الطريق إلى سلامته ؟ وكيف نحافظ على سلامته ؟ وكيف نرقى به حتى نسعد بهذا القلب إلى أبد الآbedin ؟ آية أخرى تؤكد هذا المعنى ، يقول الله عز وجل :

﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ \* إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

[سورة الصافات : ٨٣-٨٤]

آية ثالثة تؤكد هذا المعنى ، قوله تعالى :

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّلٍ حَقِيقٍ \* مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾

[سورة ق : ٣٢-٣٣]

إذا ينبغي أن تأتي الله عز وجل يوم القيمة بقلب سليم ، وبقلب منيب ، أما أن تحب الدنيا والآخرة معا ، أما أن يتوزع قلبك بين شيتين فهذا مما نفاه الله عز وجل ، قال عليه الصلاة والسلام :

((من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه ، فاثروا ما يبقى على ما يفني))

[رواية الحاكم عن أبي موسى الأشعري]

## عدم اتساع قلب الإنسان لشيتين متناقضتين :

قال تعالى :

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾

[سورة الأحزاب : ٤]

العلماء يقولون : هذه الآية تشير إلى أنه لا يمكن أن يتسع قلبك لشيتين متناقضتين ، فاما أن تحب القرآن ، وإما أن تحب الغنا ، إما أن تحب الطاعة ، وإما أن تحب المعصية ، إما أن تحب القرب من خالق الكون ، وإما أن تكون مع الشهوة ، لا يتسع القلب لشيتين متناقضتين ، فإذا حاولت أن تجعل في قلبك شيتين متناقضتين طرد أحدهما الآخر ، إذا أردت أن تجمع بين المتناقضتين في قلبك الأول منها يطرد الآخر ، لذلك لا بد من وجهة موحدة إلى الله عز وجل ، هذا القلب هو مصدر سعادتك ، ومصدر شفائك ، قد يضيق بالإنسان حتى لا تسعه الدنيا ، وقد

يَكُبُرُ وَيَكُبُرُ حَتَّى يَشْعُرُ صَاحِبُهُ أَنَّهُ أَسْعَدُ الْخَلْقَ جَمِيعًا ، مَا الَّذِي يُسْعِدُهُ ؟ وَمَا الَّذِي يُفْرِحُهُ ؟ مَا الَّذِي يُطْمِئِنُهُ ؟ مَا الَّذِي يَغْمُرُهُ فِي سَعَادَةٍ كَبِيرَةٍ ؟ مَا الَّذِي يَجْعَلُهُ مُقَائِلًا ؟ مَا الَّذِي يَجْعَلُهُ مُشْرِقًا ؟  
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يُجِيبُكُمْ عَنْ هَذَا التَّسْأُولُ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿إِنَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد : ٢٨]

أَيُّ مُحَالٌ أَنْ يَطْمَئِنَ قَلْبُكَ بِذِكْرِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، مُحَالٌ أَنْ يَسْعَدَ قَلْبُكَ بِذِكْرِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، لَوْ جَمَعْتَ الدُّنْيَا مِنْ أَطْرَافِهَا ، لَوْ ذَكَرْتَ كُلَّ الْمُخْلوقَاتِ ، لَا يَطْمَئِنُ هَذَا الْقَلْبُ ، وَلَا يَسْعَدُ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

أَيْهَا الْأَخْوَةِ الْأَكَارِمُ ؛ فَإِنِّي فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ أَنْ أَبْيَأَ لَكُمْ أَنَّ الْقَلْبَ لَا يَتَسْعُ لِشَيْئَيْنِ مُنَاقِضَيْنِ ، وَلَكِنَّهُ يَتَسْعُ لِعَشْرَاتِ بَلْ لِمِئَاتِ الْأَشْيَاءِ الْمُنْسَجِمَةِ ، فَإِنَّتِ تُحِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَتُحِبُّ رَسُولَ اللَّهِ ، وَتُحِبُّ أَصْحَابَهُ ، وَتُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ بَابِ وَاحِدٍ ، وَيُؤكِّدُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾

[سورة التوبة : ٦٦]

بِضمِّيرِ الْغَائِبِ الْمُفَرِّدِ ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ إِرْضَاءَ رَسُولِ اللَّهِ هُوَ عَيْنُ إِرْضَاءِ اللَّهِ ، وَإِلَى أَنَّ إِرْضَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ عَيْنُ إِرْضَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ، إِذَا كَانَ الْقَلْبُ لَا يَتَسْعُ لِشَيْئَيْنِ مُنَاقِضَيْنِ فَإِنَّهُ يَتَسْعُ لِلآفِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي عَلَى خَطَّ وَاحِدٍ ، وَفِي اِتِّجَاهٍ وَاحِدٍ ، وَلِهَدْفٍ وَاحِدٍ ، إِذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى :

﴿إِنَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد : ٢٨]

## انكشاف القلب أمام الله عز وجل انكشافاً تاماً :

هَذِهِ الدُّنْيَا أَمَامَكَ تَحْرِكُ فِيهَا كَمَا تَشَاءُ ، إِبْحَثْ عَنِ الْلَّذَّةِ فِي أَيِّ مَجَالٍ فَلَنْ يَطْمَئِنَ قَلْبُكَ ، وَلَنْ يَسْعَدَ فَوْادِكَ ، وَلَنْ تَشْعُرُ أَنَّكَ إِنْسَانٌ سَعِيدٌ إِلَّا إِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ وَحْدَهُ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿إِنَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد : ٢٨]

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَلْبُ الْمُؤْمِنِ مُمْتَلِئٌ طُمَانِيَّةً ، مُمْتَلِئٌ سَكِينَةً ، مُمْتَلِئٌ نُورًا ، هَذَا الَّذِي يَجْذِبُكَ إِلَى الإِيمَانِ ، هَذَا الَّذِي يَجْعَلُكَ تُوَاجِهَ الصِّعَابَ ، هَذَا الَّذِي يَحْمِلُكَ عَلَى الصَّبَرِ الْجَمِيلِ ، هَذَا الَّذِي يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ مُمْقَنِلًا ، هَذَا الَّذِي يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ مُتَجَهِّزًا إِلَى خَالِقِهِ ، هَذَا الْقَلْبُ الَّذِي مُلَأَهُ اللَّهُ سَكِينَةً ، وَمُلَأَهُ سَعَادَةً ، وَمُلَأَهُ يَقِينًا ، وَمُلَأَهُ رَضَاً ، قَالَ تَعَالَى :

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾

[سورة الفتح : ٤]

هَذِهِ الْقَلْبُ مُنْكَشِفٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اِنْكِشَافًا تاماً ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَلِيمًا﴾

[سورة الأحزاب : ٥١]

يعلم ما تنوّي ، ماذا تزيد ؟ إلى ماذا تسعي ؟ ما طموحك ؟ ما الذي يرضيك ؟ ما الذي يغضبك ؟ لماذا أعطيت ؟ لماذا منعت ؟ لماذا تبسمت ؟ لماذا عبست ؟ لماذا وصلت ؟ لماذا قطعت ؟ ما الذي يخلج قلبك ؟ قال تعالى :

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَلِيمًا﴾

[سورة الأحزاب : ٥١]

الله تعالى يحول بين المرء و قلبه :

بل إن الله تعالى كما ورد في القرآن الكريم يحول بين المرء وقلبه ، أي أقرب شيء إليك قلبك ، أقرب شيء إليك سرّك ، أقرب شيء إليك ما يخطر في فؤادك ، والله أقرب إليك من قلبك ، قال تعالى :

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾

[سورة الأنفال : ٢٤]

وهناك آية ثالثة تشير إلى هذا المعنى بالذات ، يقول الله تعالى :

﴿إِنْ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتَكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخْذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة الأنفال : ٧٠]

والعامّة يقولون : الله رب النوايا ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مَا نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهو حرجه إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيّبها أو امرأة ينكحها فهو حرجه إلى ما هاجر إليه ))

[متفق عليه عن عمر بن الخطاب]

الإنسان قد يفعل ، وقد يتحرك فيخطئ ، الله عز وجل يبيّن لنا أنّ الذي تُحاسب عليه ما كسيّه قلبك ، حينما يتّجه قلبك إلى إيقاع الضرر بفلان فقد كسيّت الإثم ، أما حينما تخطئ وقلبك سليم فتحاسب ولكن لا كالحساب الذي يكون حينما يتعمّد قلبك الإساءة ، إذا تعمّد القلب الإساءة فهذا إثم كبير لأنّه عبر عن رغبته في إيقاع الأذى ، ولو أنّ الله عز وجل حال بين الإنسان وبين أن يوقع الأذى حينما يتعمّد القلب الأذى فقد وقع في إثم كبير ، يقول الله عز وجل :

﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

[سورة البقرة : ٢٢٥]

القلب حينما يتّجه إلى إيقاع الأذى هذا الذي يُحاسب عليه ، قال تعالى :

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَدَّتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

[سورة الأحزاب : ٥]

وهذا من رحمة الله عز وجل ، إلا أنَّ الإنسان بالمناسبة إذا كان قلبه سليماً وعمله على خلاف السنة يُحاسب لا على نوایاَه السَّيِّئَة ، ولكن يُحاسب لماذا لم يوقع عمله وفق السنة ؟ لأنَّ الأعمال لا تُقبل إلا بِشَرْطَيْن ؛ أن تكون خالصة لوجه الله عز وجل ، وأن تكون صواباً ، فإذا ابْتَغَيْتَ بهذه الأعمال وجْه الله عز وجل فقد حَقَّت الشَّرْطُ الْأَوَّل ، وبقي الشَّرْطُ الثَّانِي وهو أن تكون هذه الأعمال وفق السنة التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام .

### من كفر امتلأ قلبه بشهوات الدنيا :

يا أَيُّهَا الْأَخْوَةُ الْأَكَارِمُ ؛ لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ قَلْبُهُ مَخْتُومٌ عَلَيْهِ ، وَأَنْ قَلْبُهُ مَطْبُوعٌ عَلَيْهِ ، وَأَنْ قَلْبُهُ مِنْ طَبِيعَةِ خَاصَّةٍ ، لَا يَفْهَمُ الْحَقَّ ، وَلَا يُحِبُّ الْخَيْرَ ، إِذَا تَوَهَّمَ الْإِنْسَانُ ذَلِكَ فَقَدْ وَقَعَ بِسُوءِ ظَنِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ فَعَلَ الْيَهُودُ ذَلِكَ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُفْ﴾

[سورة البقرة : ٨٨]

لَا تَفْقِهُ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿وَقَوْلُهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بِلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾

[سورة النساء : ١٥٥]

لأنَّهُمْ كَفَرُوا ، وَكَذَّبُوا مَا جَاءَ بِهِ سَيِّدُنَا مُوسَى ، وَأَعْرَضُوا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَامْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا ، إِذَا الْوِعَاءُ امْتَلَأَ مِنْ شَيْءٍ لَا يَتَسْعُ لِشَيْءٍ آخَرَ ، فَحِينَما وَرَدَتْ كَلْمَةُ الطَّبْعِ ، وَكَلْمَةُ الْخَتْمِ ، وَكَلْمَةُ الْقَلْبِ الزَّائِغِ ، وَكَلْمَةُ الْقَلْبِ الْمَغْلَفِ ، حِينَما وَرَدَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فَمَعْنَاهَا عَلَى الشَّكْلِ التَّالِي : أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَفَرَ بِمَعْنَى كَذَّبِ الْحَقَّ وَاتَّجَهَ نَحْوَ الدُّنْيَا ، فَامْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا ، إِذَا امْتَلَأَ الْقَلْبُ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا عِنْدَئِذٍ لَا يَتَسْعُ لِشَيْءٍ آخَرَ ، فَهَذَا هُوَ الْطَّبْعُ الْحُكْمِيُّ ، أَوُ الْخَتْمُ الْحُكْمِيُّ ، أَوِ الرِّيْغُ الْحُكْمِيُّ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

[سورة الصاف : ٥]

قَالَ تَعَالَى :

﴿وَقَوْلُهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بِلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾

[سورة النساء : ١٥٥]

لأنَّهُمْ كَفَرُوا امْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا فَلَمْ يَبْقَ مَكَانٌ فِي قُلُوبِهِمْ لِلْحَقِّ .

### علامة حياة القلب :

أَيُّهَا الْأَخْوَةُ الْأَكَارِمُ ؛ وَلَكُنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يُطْمَئِنُ هُوَ أَنَّ قَلْبَ الْإِنْسَانِ مَفْطُورٌ عَلَى حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا عَرَفَ الْإِنْسَانَ رَبَّهُ ، وَإِذَا أَطَاعَهُ امْتَلَأَ قَلْبُهُ طَرَبًا ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿وَلَكُنَّ اللَّهُ حَبِّ الْيُكُمُ الْأَيْمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرُ وَالْفُسُوقُ وَالْعَصْيَانُ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾

[سورة الحجات : ٧]

هذه حقيقة يجب أن تكون ماثلة في أذهانكم .

يا أيها الأخوة الأكارم ، هذا القلب الذي بين جوانحك ، قلب نفسك ، ما علامه أنه صحا ؟ هناك قلب ميت ، قال تعالى :

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاٰ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَعْثُونَ﴾

[سورة النحل : ٢١]

وهناك قلب حي ، الإنسان الميت تضيع يدك على أحد شرائينه فلا ينبع ، خمود النبض علامه موته ، وشعورك أن في هذا الشريان دما ، وأن في هذا الشريان حرقة ، هذه علامه الحياة ، إذا ما علامه حياة القلب ؟ قال الله عز وجل :

﴿إِنْ تَتُوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَّتْ قُلُوبُكُمْ﴾

[سورة التحرير : ٤]

أي حينما تتجه نحو التوبة ، حينما تعقد العزم على التوبة ، حينما تحب أن تتوب اطمئن ، واعلم علم اليقين أن في قلبك حياة ، وأنه ينبع بالحب لله عز وجل ، قال تعالى :

﴿إِنْ تَتُوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَّتْ قُلُوبُكُمْ﴾

[سورة التحرير : ٤]

## معالجة القلوب لأنها الزاد إلى الآخرة :

أيها الأخوة الأكارم ، في مطلع الخطبة بيّنت لكم أن الإنسان لا ينفعه حينما يقدم على الله عز وجل مال ولا بنون ، لا ينفعه إلا إذا أتى رب بقلب سليم ، هل هناك قلب مريض ؟ استمعوا إلى آيات القرآن الكريم ، قال الله عز وجل :

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَأَاهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾

[سورة البقرة : ١٠]

قال الله عز وجل :

﴿ثُمَّ قَسَّتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾

[سورة البقرة : ٧٤]

القلب القاسي قلب مريض ، القلب الأعمى قلب في حالة يجب أن تعالج ، قال تعالى :

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

[سورة الحج : ٤٦]

قال تعالى :

﴿كَذِلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾

[سورة يونس : ٧٤]

القلب المَطْبُوعُ عَلَيْهِ لَأْنَ صَاحِبُهُ مَعْتَدٌ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَاهِدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قُلُوبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

[سورة الأحزاب : ٣٢]

إِذَا الْقَلْبُ قَدْ يَمْتَلَئُ مَرْضًا ، وَقَدْ يَعْمَمُ ، وَقَدْ يَقْسُو ، وَهَذِهِ حَالَاتٌ خَطِيرَةٌ يَجُبُّ أَنْ تُعَالَجَ . يَا أَيُّهَا الْأَخْوَةُ الْأَكَارِمُ ؛ لِمَاذَا إِذَا شَعَرَ الْإِنْسَانُ بِضَعْفٍ فِي رَؤْيَتِهِ ، أَوْ بِذُبْبَابَةٍ تَطِيرُ أَمَامَهُ ، أَوْ بِأَنْحِرَافٍ فِي بَصَرِهِ ، لِمَاذَا يُبَادِرُ إِلَى الطَّبِيبِ ؟ وَلِمَاذَا يَنْتَظِرُ الْأَسْبُوعَ تَلْوَ الْأَسْبُوعِ لِيَأْتِيَ دُوزُّهُ فِي الْمُعَالَجَةِ ؟ لِمَاذَا يَحْرُصُ عَلَى عَيْنِهِ حَرْصًا لَا حُدُودَ لَهُ ؟ لِمَاذَا يَقُولُ لَكَ : الْعَيْنُ لَا لَعْبَ مَعَهَا ؟ لِمَاذَا يَحْرُصُ الْإِنْسَانُ عَلَى سَلَامَةِ عَيْنِهِ وَلَا يَحْرُصُ عَلَى سَلَامَةِ قَلْبِهِ ؟ لِمَاذَا لَا يُبَادِرُ إِنْ رَأَى فِي قَلْبِهِ قَسْوَةً ؟ إِنْ رَأَى فِي قَلْبِهِ زَيْغًا ؟ إِنْ رَأَى قَلْبَهُ قَدْ طُبِعَ عَلَيْهِ ؟ إِنْ رَأَى قَلْبَهُ لَا يَعْيَى عَلَى خَيْرٍ ؟ إِنْ رَأَى قَلْبَهُ لَا يَحْبُّ الْخَيْرَ وَأَهْلَهُ وَلَا يَحْبُّ الْحَقَّ ؟ قَالَ : كَيْفَ أَصْبَحْتِ يَا زَيْدُ ؟ قَالَ : أَصْبَحْتُ أَحَبَّ الْخَيْرَ وَأَهْلَهُ ، وَإِذَا قَدَرْتُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ سَارَعْتُ إِلَيْهِ وَأَيْقَنْتُ بِثَوَابِهِ ، وَإِنْ فَاتَتِي حَزَنْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ : عَرَفْتُ فَلَازَمَ إِنِّي لَكَ نَاصِحٌ أَمِينٌ ، لِمَاذَا لَا نَهْتَمْ بِقُلُوبِنَا ؟ لِمَاذَا لَا نَرْعِي هَذِهِ الْقُلُوبَ الَّتِي هِيَ رَأْسُ مَالِنَا فِي الْجَنَّةِ ؟ لِمَاذَا لَا نَرْعِي قُلُوبَنَا لِأَنَّهَا زَادَنَا فِي الْآخِرَةِ ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَأَدُهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾

[سورة البقرة : ١٠]

شَيْءٌ خَطِيرٌ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾

[سورة البقرة : ٧٤]

قَالَ تَعَالَى :

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

[سورة الحج : ٤٦]

قَالَ تَعَالَى :

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعِفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعَفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾

[سورة الأحزاب : ٣٠]

إِذَا كَمَا نُبَادِرُ إِلَى مَعْالِجَةِ بَصَرِنَا ، وَسَمْعِنَا ، وَشَمْنَا ، وَنُطْقَنَا ، وَأَعْصَابِنَا ، وَأَوْرِدَتَنَا ، وَعَضْلَاتِنَا ، وَعَظَمَنَا ، يَجُبُّ أَنْ نُبَادِرَ بِحَمَاسٍ أَشَدَّ وَبِحَرْصٍ أَلْلَغَ إِلَى مَعْالِجَةِ قُلُوبِنَا ، لِأَنَّهَا زَادَنَا فِي الْآخِرَةِ ، وَلِأَنَّهَا الشَّيْءُ الْمُقْبُولُ فِي الْآخِرَةِ .

الْقَلْبُ مَوْضِعُ الإِيمَانِ :

أَيُّهَا الْأَخْوَةُ الْأَكَارِمُ ؛ الْقَلْبُ مَوْضِعُ الإِيمَانِ ، قَالَ تَعَالَى :

**﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ أَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَكَنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾**

[سورة الحجرات : ٤]

إذا أقبلَ الإنسان على ربِّه ، ما هي بعضُ الشّمار ؟ قال تعالى :

**﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الدِّينِ اتَّبِعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾**

[سورة الحديد : ٢٧]

إذا كان قلبكَ ينبضُ بالرحمة ، إذا كان قلبكَ ينبضُ بالرأفة ، إذا شعرتَ أنَّ قلبكَ لا يحتمِلُ أنْ يُعذَّبَ إنسانٌ أمامك ، أو أنْ يُعذَّبَ مخلوقٌ أمامك ، أو أنْ يُعذَّبَ كائنٌ حيٌّ أمامك ، فهذا قلبٌ مَوْصُولٌ بالله .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ علامةُ أكيدة ، وعلامة ثابتة ، أنَّ القلب القريب من الله عز وجل مُفعَّمٌ بالرحمة والرأفة ، وأنَّ القلب المنقطع عن الله عز وجل ممتليٌ قسوةً ، فهو كالحجارة بل أشدُّ قسوةً .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ النبي عليه الصلاة والسلام سيدُ الخلق ، وحبيبُ الحق ، المعصوم ، والذي يُوحى إليه ، مع كلَّ هذه الميزات ، ومع كلَّ هذه الدرجات ، ومع كلَّ هذه المقامات خاطبَ الله عز وجل فقال :

**﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيلًا قُلْبٌ لَّا تَفْضُلُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾**

[سورة آل عمران: ١٥٩]

إنْ كنتَ أباً ، إنْ كنتَ معلماً ، إنْ كنتَ في موقعٍ قياديٍّ ، إنْ كنتَ في موضع الإشراف ، إنْ كنتَ داعيةً ، قال تعالى :

**﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيلًا قُلْبٌ لَّا تَفْضُلُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَارِرُهُمْ فِي الْأُمُرِ﴾**

[سورة آل عمران: ١٥٩]

علموا ولا تعنفوا ، فإنَّ المعلمَ خيرٌ منَ المعنف ، أكرموا النساء فوالله ما أكرمنهنَ إلا كريم ، ولا أهانهنَ إلا لئيم ، يغلبنَ كلَّ كريم ، ويغلبهنَ لئيم ، وأنا أحبُّ أنْ أكون كريماً مغلوباً منَ أنْ أكون لائماً غالباً ، النبي عليه الصلاة والسلام أرسَلَ خادماً في حاجة فتأخرَ كثيراً فغضِبَ عليه الصلاة والسلام : ولما عاد قال له : والله لو لا خشية القصاص لأوجَعْتُكَ بهذا السُّواك ، ينطوي النبي على قلبٍ مُفعَّمٍ بالرحمة ، قال تعالى :

**﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**

[سورة التوبة : ١٢٨]

معالجة القلوب لأنها الزاد إلى الآخرة :

**إيقاظ القلب :**

أيها الأخوة الأكارم ؛ قال تعالى :

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾

[سورة ق : ٣٧]

أراد الله عز وجل من هذا القلب ، القلب الحي ، قال تعالى :

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

[سورة ق : ٣٧]

أي إن لم يكن لك هذا القلب الحي ألق السمع ، احضر مجالس العلم ، وأصنع إلى مجالس الحق ، أعطهم أذنيك ، أعطهم اهتمامك ، إذا أجريت عملية جراحية في القلب ، يبرد حتى يقف عن النبض ، ثم تجرى العملية ، وبعد أن تنتهي التوصيات يعطي صدقة ، فإذا أنت عمل ، وإنما إلا يعمل ، فالقاء السمع لعله يوقظ القلب النائم ، قال تعالى :

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

[سورة ق : ٣٧]

أما أهل الإعراض ، أما أهل الفسق والفجور ، لهم قلوبهم لا يعقلون بها ، لهم قلوبهم لا يفقهون بها ، قلب أعمى لا يفقه ، ولا يعمل ، إذا إلقاء السمع سبب لإيقاظ القلب ، قال تعالى :

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

[سورة ق : ٣٧]

### الإشراك سبب لخلق الرعب في القلب :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ قد يمتلي القلب خوفا ، وهذا الخوف من خلق الله عز وجل ، دققا في هذه الآية ، قال تعالى :

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبَئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾

[سورة آل عمران: ١٥١]

هذه علاقة علمية ، هذه علاقة ضرورية ، هذه علاقة حتمية ، حينما تُشرك يملا الله قلبك خوفا ، قال تعالى :

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعْذَبِينَ﴾

[سورة الشعراء : ٢١٣]

قال تعالى :

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبَئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾

[سورة آل عمران: ١٥١]

الرعب يخلق في القلب حينما يُشرك .

### من آمن بالله و جاءه شيء يكرهه فليبحث عن العلة :

أيتها الأخوة الأكارم ؛ قال تعالى :

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾

[سورة التغابن : ١١]

بِعْنَى أَنَّكَ إِذَا آمَنْتَ بِاللَّهِ ؛ آمَنْتَ بِهِ خَالِقًا ، وَمُرَبِّيًّا ، وَمُسَيِّرًا ، هَذَا كَمِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، وَمِنْ مِنْزَلَةٍ إِلَى مِنْزَلَةٍ ، وَمِنْ مَقَامٍ إِلَى مَقَامٍ ، وَمِنْ خَيْرٍ إِلَى خَيْرٍ ، وَمِنْ سَعَادَةٍ إِلَى سَعَادَةٍ ، وَرَبِّمَا فَسَرَّهَا بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهُ إِذَا حَلَّتْ بِالْإِنْسَانِ مُصِيبَةً ، وَكَانَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَهْدِي قَلْبَهُ إِلَى السَّبَبِ الَّذِي جَاءَتْ مِنْ أَجْلِهِ ، لَمَّا حَدَثَ كَذَا ؟ يَلْقَى اللَّهُ فِي قَلْبِكَ أَنْ يَا عَبْدِي حَدَثَ فِي قَلْبِكَ كَذَا مِنْ أَجْلِ كَذَا ، أَلَمْ أَنْبَئْكُمْ مِنْ قَبْلِ بَشَابَ عَرَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَرَفَ أَنَّ كُلَّ سَيِّئَةً عَاقِبًا ، وَقَدْ زَلَّتْ قَدْمُهُ فَارْتَكَبَ مُخَالَفَةً طَفِيفَةً فَانتَظَرَ الْعِقَابَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَضَى يَوْمٌ وَيَوْمًا ، وَأَسْبَوْعٌ وَأَسْبَوْعًا ، وَلَمْ يُنْزِلْ اللَّهُ بِهِ عَاقِبَةً ، فَفِي الصَّلَاةِ نَاجَى رَبَّهُ فَقَالَ : يَا رَبَّ لَدَّنِي عَصَيْتَنِي فَلَمْ تُعَاقِبْنِي ؟ فَوَقَعَ فِي قَلْبِهِ أَنْ يَا عَبْدِي قَدْ عَاقَبْتَنِي وَلَمْ تَدْرِ ! أَلَمْ أَخْرِمْكَ لَذَّةَ مَنَاجَاتِي ؟ قَالَ تَعَالَى :

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾

[سورة التغابن : ١١]

إِذَا كُنْتَ مُؤْمِنًا بِأَنَّهُ لَا يَقْعُدُ شَيْءٌ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ ، هَذَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

(كُلُّ شَيْءٍ حَقْيَةٌ ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقْيَةً إِلَيْهِمْ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَخْطُنَهُ ، وَمَا

(أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبَهُ)

[أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالطَّبرَاوِيُّ عَنْ أَبِي الدَّرَداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

فَإِذَا أَصَابَ الْمُؤْمِنَ أَيْ شَيْءٍ يَجْبُ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، يَا رَبَّ لَمَّا ذَرَ ؟ يَأْتِي الْجَوابُ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾

[سورة التغابن : ١١]

إِذَا آمَنْتَ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا فَعَالٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّهُ لَا مُعْطَىٰ ، وَلَا مَانِعٌ ، وَلَا رَازِقٌ ، وَلَا قَابِضٌ ، وَلَا بَاسِطٌ ، وَلَا مُعْزٌ ، وَلَا مُذْلٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ الْأَمْرَ كُلُّهُ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَجَاءَكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ فَابْحَثْ عَنِ الْعِلْمِ ، وَابْحَثْ عَنِ السَّبَبِ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوْ عَنْ كَثِيرٍ﴾

[سورة الشورى : ٣٠]

حَاسِبُوا أَنفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْاسِبُوهُ ، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَوْزِنَ عَلَيْكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتَ قَدْ تَخْطَلَنَا إِلَى غَيْرِنَا ، وَسِيَتْخَطِّي غَيْرِنَا إِلَيْنَا فَلَنْتَخِذْ حَذْرَنَا ، الْكَيْسُ مِنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمَلَ لَمَّا بَعْدَ الْمَوْتَ ، وَالْعَاجِزُ مِنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هُوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

\* \* \*

## الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلّ وسلام وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

## خلق الإنسان :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ في القرن الثامن عشر ، حينما بدأ العالم الغربي يتلمس طريق العلم ، وبعد أن اكتُشِفَ المجهَر ، استقرَّ في أذهان العلماء أنَّ الإنسان يُخْلَقُ من نطفة الرَّجُل فقط ، ثمَّ نُقضتْ هذه النَّظرية ، واستقرَّ في أذهانهم شيء آخر وهو أنَّ الطَّفل يُخْلَقُ من نطفة المرأة فقط ، وما النَّطفة التي يُلقيها الذَّكَرُ إلا مُنْبَهٌ لها ، وظلَّ العلماء في القرنين السابغ عشر والثامن عشر يتخطَّطون في نظرياتٍ بينما سُئلَ النبي عليه الصلاة والسلام قبل أربعة عشر قرناً ، سأله رجلٌ ممَّ يخْلُقُ الإنسان ؟ فقال عليه الصلاة والسلام ، وهذا حديثٌ صحيحٌ يُعَدُّ من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام ، شُعُوبٌ وأممٌ ، بُحوثٌ ومقالاتٌ ، أجهزةٌ وميكروسكوباتٌ ، واستقرَّ في أذهان العلماء أنَّ الطَّفل يُخْلَقُ من نطفة الرَّجُل فقط ، وما رَحِيمُ الأمُّ إلا مكانٌ تنبُّتْ فيه هذه البذرة ، ثمَّ استقرَّ في أذهانهم شيء آخر أنَّ الطَّفل يتخلَّقُ من نطفة المرأة ، وما نطفةُ الرَّجُل إلا مُنْبَهٌ لها ، أجابَ عليه الصلاة والسلام منْ كُلِّ يُخْلَقٍ ، فقد روى أَحْمَدُ عن عبد الله قال :

(( مرّ يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه فقلت قريش : يا يهودي إن هذا يزعم أنهنبي ، قال : لأسأله عن شيء لا يعلمه إلانبي ، قال : فجاء حتى جلس ثم قال : يا محمد مم يخلق الإنسان ؟ قال : يا يهودي من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة ، فأما نطفة الرجل فنقطة غليظة منها العظم والعصب وأما نطفة المرأة فنقطة رقيقة منها اللحم والمدم ، فقام اليهودي فقال : هكذا كان يقول من قبلك ))

[أحمد عن عبد الله]

هكذا أجاب النبي عليه الصلاة والسلام ، وكلَّم يعلمُ أنَّ العلوم الحديثة أشارت إلى أنَّ الرَّجُل في اللقاء الواحد يخرجُ منه ما يزيدُ عن ثلاثة مليون حُوَيْنٍ منويٍّ ، وأنَّ حُوَيْنًا واحدًا فقط يُلْقِي البيضة ، سُئلَ عليه الصلاة والسلام عن هذا الموضوع فأجاب في حديثٍ صحيحٍ عن أبي سعيد قال : سُئلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال :

((ليس من كل الماء يكون الولد ، وإذا أراد الله أن يخلق منه شيئاً لم يمنعه شيء ))

[أحمد عن أبي سعيد]

أليس عليه الصلاة والسلام رسول الله ؟ هل معطياتُ العصر كانت كافيةً لمعرفة لهذه الحقائق ؟ شيء آخر ، قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾

[سورة المؤمنون : ١٢-١٣]

القرار المكين هو الرّحْم ، أوَّلًا يقعُ في الوسْط الْهندسي تمامًا من جسم المرأة ، فلو أخذَ خطًّا منصِفًّا طوليًّا ، وخطًّا منصِفًّا عرضيًّا ، لكان موقعُ الرّحْم في تقاطعِ الخطّيْن ، هذا معنٍى ، والمعنى الثاني أنَّ هذا القرار المكين ، لم سُمِّيَ الرّحْم قرارًا ؟ لأنَّه يفرزُ مادَّة لاصقةً إذا جاءت البوَيْضَة الملْقَحة إلى الرّحْم التَّصَقَتْ في جِدارِه ، فهو قرارٌ لها ، وليس ممراً ، ثم إنَّ في الرّحْم من الأُوعيَة الدَّمَوِيَّة غزارَة تفوق حَدَّة التَّصَوُّر ، كلُّ هذه الأُوعيَة تمدُّ هذه البوَيْضَة الملْقَحة بالدم ليَتَغذَّى ولَيَنْبُو في سرعةٍ تُعدُّ أسرعَ ما في جسم الإنسان من نسيجٍ في تكاثرِه وانقسامِه .

شيءٌ آخر ؛ هذا الجنين بِغشاءِ رقيق ، وقد بدا هذا في الصُّور التي أخذَت عن الجنين ؛ مغلف بِغشاءِ رقيق ، وهذا الغشاء الرقيق معلقٌ في أعلى الرّحْم ، فهو لا يتأثرُ بجُدرِ الرّحْم ، وفوق هذا وذاك أحْيَطَ هذا الجنين بسائلٍ ، هذا السائل يمْتصُ كلَّ الصَّدَمات ، تصورُ أنَّ الجنين مغلفٌ في غشاءِ رقيق ، والغشاء معلقٌ في أعلى الرّحْم ، وأنَّ ما يُحيط بالرّحْم سائلٌ يمْتصُ كلَّ الصَّدَمات ، والأَغْرِبُ من هذا أنَّ الرّحْم كله معلقٌ في حُوضِ المرأة ، معلقٌ بأربطةٍ إلى أقطارِ الحوض ، فالرّحْم سائبٌ ، والجنين سائبٌ ، وبين الرّحْم والجنين سائلٌ يمْتصُ كلَّ الصَّدَمات ، كلَّ

هذا الشَّرْح ينْطوي تحت قوله تعالى :

**﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا مِّنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾**

[سورة المؤمنون : ١٢-١٣]

أيها الأخوة الأكارم ؛ يقول بعض علماء العِظام : إنَّ عظامَ الْحُوضِ في المرأة هي أقصى عِظامٍ في النّوع البشري ، من أجل ردِّ الصَّدَمات .

أيها الأخوة الأكارم ؛ قال تعالى :

**﴿سُرِّيهِمْ أَيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْلَمْ يَكُفِّ بِرِبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ**

**شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**

[سورة فصلت : ٥٣]

أيُّ أَنَّ هذا القرآن كلامُ الله ، وهو المعجزَة الخالدة ، وكلَّما تقدَّمَ العلم كشفَ عن جانبٍ من إعجازِه العلمي .

## الدعاء :

اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ ، وَعَافَنَا فِيمَنْ عَافَتْ ، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّتْ ، وَبَارَكَ اللَّهُمَّ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْتَ ، وَقَنَا وَاصْرَفْ عَنَّا شَرَّ مَا قَضَيْتَ ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ ، إِنَّهُ لَا يَذَلُّ مِنْ وَالْيَتَ ، وَلَا يَعْزِزُ مِنْ عَادِيَتَ ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ ، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا قَضَيْتَ ، نَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُمَّ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ أَعْنَا عَلَى الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ وَغَضَّ الْبَصَرِ وَحَفْظَ اللِّسَانِ ، اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا عَمَلاً صَالِحًا يَقْرَبُنَا إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ أَعْطُنَا وَلَا تُحرِّمنَا ، أَكْرَمْنَا وَلَا تَهْنَأْ ، آثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا ، أَرْضَنَا وَأَرْضَ عَنَّا ، أَصْلَحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عصْمَةُ أُمْرِنَا ، وَأَصْلَحْ لَنَا دِنَيَا النَّاسِ الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا ، وَأَصْلَحْ

لنا آخرتنا التي إِليها مردُّنا ، واجْعَل الحياة زادًا لنا من كُلّ خير ، واجْعَل الموت راحَةً لنا من كُلّ شرّ ، مولانا رب العالمين ، اللهم إكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، اللهم لا تؤمّنَا مكرك ، ولا تهْتِك عَنْ سترك ، ولا تنسنا ذكرك ، يا رب العالمين ، اللهم إِنّا نعوذ بك من عُضال الداء ، ومن شماتة العداء ، ومن السَّبْ بعد العطاء ، يا أكرم الأكرمين ، نعوذ بك من الخوف إِلا منك ، ومن الذل إِلا لك ، ومن الفقر إِلا إِليك ، اللهم بفضلك ورحمةك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام ، وأعز المسلمين ، وخذ بيده ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إِنّك على ما تشاء قادر ، وبالإجابة جدير .

**والحمد لله رب العالمين**